محمد رشاد الحمزاوي

توحيد المصطلحات او وحدة الثقافة

ان وضع هذه القضيـة على بساط البحث يفترض اولا شعـور الاختصاصيين العرب من لغويـين وعلميين بأزمـة تتلخص فـي ان المصطلحات العربيـة الحديثة في شتى العلوم متنوعة متخالفة ، فيهـا من الاضطراب والتناقض ما يؤول الى الفوضى المعجمية التي يمكـن ان يكـون لهـا اثر على تنظيم علومنـا الناشئة وعلى بيداغوجيتنا المتعثـرة ومنهـا على تفكيرنـا العلمي ان اخذنـا برأي فيه نظر يقول : « ان العلم لغـة محكمـة البنـاء » (١) .

والملاحظ ان شعورنا بالفوضى كثيرا مـا ينحصر في احساس عام بتلـك الفوضى استنادا الى تناقض بعض المصطلحات التي تأتي شاردة في مقالـة او اخرى . لا شك ان الدعوة الى التوحيد تبدو في ظاهرها وفي باطنهـا نزعـة علميـة مستحسنة هدفهـا الدقة العلمية وفصاحة التعبيـر وسحـر البيـان ووحدة التفكير والثقافـة في الامة الواحدة. ولا غرابـة ايضا فـي ان تكـون الدعوة الى التوحيـد مـوذة من الموذات الشكلية التـي ترمي مـن دون ان تشعـر الى وضع قضايا خاطئـة اساسا فيهـا من البلبلة ما لا يمت الى قضية التوحيدبسبب.

اننـا نعتبـر ان احسن وسيلة لمعالجـة المشكلـة تنحصر فيوضع القضيـة في محيطهـا التاريخي واللغوي لنتمكـن من تحليل مظاهرها واسبابهـا ولندرك اهميتهـا كيفـا وكمـا ، وذلك مـا يساعدنـا على اقـرار وجود قضيـة تسمى قضيـة المصطلحات ، اذ انه لا يكفي ان تختلف المصطلحات عـن بعضهـا بعضا لنثبت ان الفوضى منفشيـة في معاجمنـا واستعمـالاتنا الحديثة فالتوحيـد ليس دائمـا ضروريـا ان كـان الهدف منه تجميـد اللغـة والعلوم بترجمة معينـة او بتسمية مفردة دون غيرهـا . فـان كـان ضرورة لاسباب يجـب اقرارها فما عسى ان يكون التوحيد ؟ وما هي مناهجه ؟ وما هي غاياته ؟

وجوابا على ذلك رأينا من المفيـد ان نعالج القضية مـن خـلال عينة واضحـة تضبط رأينـا وتجنبنا الاحكام الاعتباطية لصالح التوحيد او ضده ، فلقـد استحسبنا ان نطبق منهجنا على كل ما كتب فـي مجمع اللغة العربيـة في هذا الشأن ، معتبريـن في ذلك العامـل الزمني الذي يساعدنـا على تتبـع تطورهـا عند المجمعيين . ولا شك ان هذه الطريقـة لا تدعـو الى الحصر والاستقصاء بقدر مـا تؤكـد على ارسـاء مبدأ مفاده ان الحكم في القضايا الهامة من هذا النوعمستحيل ما لـم يعتمـد النصوص وانـــه يصبح ضربا مـن ضروب التعسف الايديولوجيـة مـا لم يستند الى امثلة تطبيقية واضحة .

المحاولات الداعية الى التوحيد : وصف وتقييم

ان القضيـة قد طرحت بمجمع اللغـة منذ نشأته وطرقت فـي مقالات وبحوث عدة لن تهتم الا بمـا وضع منها المسألة وضعا صريحا. ولذلك فاننـا نعتبر ان البحوث التي عالجت قضيـة توحيدالمصطلحات لا تتجاوز العشرة ، ان استثنينا مقـالات الامير مصطفى الشهابـي المنشورة في كتبه المختلفـة ، فلقـد اشتـد الاهتمـام بـها خاصة من ١٩٥٥ الـى ١٩٦١ فيكـون المجمع قد خصص معدل مقالتيـن سنويـا للموضوع . ولقد سبق له أن اهتم بالقضيـة في دورته الاولى . فهل يعني هذا ان حرصه الجديد على اثارتهـا دليل على ان القضيـة قـد تشعبت حتى اصبحت تنبيء بالخطر ؟ ذلك مـا لا يبدو بعيدا عنالواقع.

ان اول من نبه الى هذه القضيـة فـي المجمـع هـو المستشرق الايطالي نلينـو وذلـك في الجلسـة الحاديـة عشرة من الدورة الاولى للمجمع (٢) ولقد أبده في ذلك علي الجارم (٣) مما أدى بالمجمع الى اتخـاذ قراريـن في الموضوع (٤) .

١ ــ الاصطلاحات العلميـة والفنية يجب أن يقتصر فيهـا علىاسم واحد خاص لكـل معنـى .

٢ ــ في شؤون الحياة العامة يختار اللفظ الخاص للمعنىالخاص، فاذا لـم يكـن هناك لفظ خاص اتـى بالعـام ويخصص بالـوصف او الاضافـة .

ولقد اردف المجمع القراريـن السابقين بقرار ثالث يتعلق بالتعريب صدر فـي الجلسـة الثالثـة والثلاثيـن من الدورة الاولـى وهو ينص:

« ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطق بهاالعرب »(٥).

ان هذه القرارات الثـلاثة الاولـى والاخيرة من نوعهـا تدل على ان المجمع قد تنبه الى القضيـة ، كما تدل على انهـا غير كافية لان القضيـة قد وضعت من جديد واعتنى بهـا مجمعيون مختلفـو الثقافة

---

(١) لقد قال ذلك الفيلسوف الفرنسي Condillac وهـو من الفلاسفـة العقلانيين الذيـن كانوا يقولون بانطباق المنطق على اللغة .

(٢) مجمع اللغة : مجموعة القرارات العلمية

(٣) مجمع اللغة العربية : مجموعـة القرارات العلمية ، القاهرة ١٩٦٣ ص : ١٤١ .

(٤) مجمع اللغـة العربية : مجموعـة القرارات العلمية ص :١٤٢.

(٥) نفس المرجـع ص : ٨٥ .

يهمنا ان نعرف اراءهم فيها ولو ملخصه ، لعلنا نستخلص منها ملاحظات عامة للانطلاق بالقضية من جديد . فلقد رأى الشيخ رضا الشبيبي (٦) ان تعدد المصطلحات ناشيء عن المنافسة القائمة بين التركية والفارسية والعربية لا سيما في المصطلحات العسكرية ، ومصطلحات الاشغال والفنون والمدارس والمالية الخ ..

من ذلك ان مصر تستعمل« اليمباشي،والاومباشي ، وحكيمباشي، وباش مهندس وباش كاتب يقابلها في العراق الرئيس والملازم والعريف وكبير المهندسين وكبير الاطباء ورئيس الكتاب (٧) ويكتفي الشبيبي بالدعوة الى التوحيد تجنبا للاشتباه والالتباس .

اما الشيخ محمد الخضر حسين (٨) فانه اهتم بتوحيد المصطلحات الطبية معتمدا في ذلك مناهج العرب . فهو يدعو الى تجنب المصطلحات المشتركة ، منبها الى وجود ذلك بكثرة في المعاجم القديمة فيلاحظ « قالوا « الدرب » فساد الجرح وفساد المعدة والمرض الذي لا يبرأ » (٩) ويتجاوز المجمعي هذا المظهر الى اختلاف مؤلفين قديمين في مصطلحاتهما من ذلك ان ابن سينا يعتبر البرسامة والشوصة لفظين مترادفين وغيره يطلق الاسمين على مرضين مختلفين (١٠) .

ولقد كان توحيد مصطلحات الرتب العسكرية موضوع بحث الشيخ عبدالقادر المغربي (١١) منبها تقريبا الى ما نبه اليه رضا الشبيبي مؤكدا على معارضة الدوائر الرسمية المصرية لتعريب المصطلحات العسكرية على اساس ان المصطلحات العسكرية المختلفة رمز الى الادوار التاريخية التي مر بها الجيش المصري (١٢) .

ولقد كان مصطفى الشهابي (١٣) اول من وضع القضية في اطار اوسع فارخ لكل المحاولات العربية الرسمية والفردية من١٩١٩ الى ١٩٥٣ ملاحظا ان الشعور بضرورة توحيد المصطلحات العلمية اصبح في البلاد العربية شعورا عاما . والاراء متضاربة في الوسائل التي يجب التوصل اليها لبلوغ هذه الغاية (١٤) ويعود الاضطراب حسبه الى الخلاف القائم في شأن الطرق العلمية من ذلك ان كلمة (Amibe) التي سماها النفاضة والمتمورة ، قد سميت المتمورة في معجم الكرملي واميبة عند غيره لان الاسم العربي لا يوافق الذوق اللغوي الذي يصبح في حد ذاته محلا للخلاف (١٥) . مما دعا المجمعي العربي الى المطالبة بتكوين لجنة تشرف عليها الجامعة العربية وتمولها الدول العربية لوضع « معجم المصطلحات العلمية » او « المعجم العربي الاعجمي » الذي يجب ان تنسق مفرداته حتى تكون موحدة .

ولا يفوتنا ان نذكر اننا نجد صدى لهذه الاراء نفسها في مؤلفات

(٦) محمد رضا الشبيبي ، توحيد المصطلحات ، مجلة مجمع اللغة ٨ : ١٣١ ـ ١٣٥ .
(٧) نفس المرجع ص : ١٣٣ .
(٨) محمد الخضر حسين :طرق وضعالمصطلحات الطبية وتوحيدها، مجلة مجمع اللغة ٨ : ٣٦٦ ـ ٣٧٣ .
(٩) نفس المرجع ص : ٣٧٠ .
(١٠) نفس المرجع ، ص : ٣٧٣ .
(١١) عبدالقادر المغربي : حول المصطلحات العسكرية مجلة مجمع اللغة ٩ : ١٦٧ ـ ١٧٠ .
(١٢) نفس المرجع ص : ١٦٧ .
(١٣) مصطفى الشهابي : توحيد المصطلحات في البلاد العربية مجلة مجمع اللغة ١١ : ١٥٧ ـ ١٦١ .
(١٤) نفس المرجع ص ١٥٩ .
(١٥) نفس المرجع .

(١٦) الشهابي الاخرى التي تزودنا بعينات جديدة ومتنوعة من ذلك مصطلحات النفط التي اختلف فيها مجمعا القاهرة وبغداد فلقد اورد مثلا :

Catalyst	فهي الاز في المجمع الاول والحفاز في الثاني
Structure	فهي التراكب في الاول المبنية والبناء في الثاني
Anticline	الحفيرة في الاول والقبوة في الثاني ..» (١٧)

ويشتد الخلاف في المصطلحات الطبية والحرفية والعسكرية والعلمية والفنية والهندسية وفي مصطلحات الحشرات والنبات والجيولوجيا والديبلوماسية والسياسة الدولية (١٨) الخ ..

وينسب الشهابي تلك الخلافات الى عوامل نفسانية ومادية متنوعة المظاهر . من ذلك ان « هذا يعمل تلبية لهوى في نفسه وتعشقا لهذه اللغة ، وثان يعمل مدفوعا بالغرور وحب الظهور ، وثالث للتجارة وما فيها من كسب المال ، ورابع تلبية لرغبات دول اجنبية تريد بث نفوذها بطريق الثقافة وهلم جرا (١٩) .

عولجت القضية حسب منهج مبدئي جديد اعتمده محمد كامل حسين (٢٠) يدعو فيه الى أن يقف المجمع قليلا ليعيد النظر في القواعد التي سبق ان وضعها والقرارات التي اتخذها لتتبين: هل هذه القواعد كفيلة بتحقيق ما اردناه من خلق لغة قابلة للحياة ؟ (٢١) .

ولقد قاده موقفه هذا الى اعتبار لغة السلف غير صالحة لتأدية العلوم الحديثة والى القول بان مصطلحات لغوية وليست علمية مما يدعو اعتماد التعريب في المصطلحات العلمية الكلاسيكية الدالة على الاعيان ، كذلك كل ما يدل على مصطلح يكون جزءا من تصنيف عام وكل مصطلح عام أصبح خاصا . اما النحت فيجب تجنبه وتجنبكلماته مثل « شبغروي » واحلال « كلويد » محلها لانها ليست غروية ولا شبه غروية في الواقع فنكون قد اخترنا بالنحت كلمة ثقيلة ظنا انها اسهل فهما وفي سبيل التوضوح أصبحت خطأ . والكلويد من اسماء التصورات العلمية الخاصة التي يصح أن تعرب حتما (٢٢) ان دعوة المجمعي العربي الى التعريب تفرض اعادة النظر في قرار المجمع في هذه الطريقة لان طرق العرب في التعريب التي اعتمدها لا تتصل بعوائدنا الصوتية التي تطورت .

ولقد واصل محمد كامل حسين بحثه في محاولة ثانية تركيبية وضع فيها قضية صلة اللغة بالعلوم (٢٣) فهو يقسم اللغة الى قسمين : لغة التفاهم ، وهي لغة غير محددة ، لها صلة وثيقة بلغة الادب ، ولغة الفهم وهي واضحة لها صلة متينة بلغة العلم التي تعتبر اصطلاحا يصطلح عليه ولا يفترض فيها اطلاقا ان تكون مطابقة لمعاني الكلمات الاولى ، فالاوكسجين الذي يفيد مكون الصدأ يمكن ان يسمى بيوجين لو علم في اول الامر انه مكون الحياة.

واعتبارا لما سبق فانه يفترض في اللفظ العلمي ان يكون لفظا لا عبارة وان يستخرج من مفردات اللغات الميتة من دون اعتبار دلالاتها الاصلية والا يستقي من الكتب القديمة التي لا نفع فيها بل يجب

(١٦) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ـ الطبعةالثانية ـ دمشق١٣٨٣ (١٩٦٥) لا سيما في الصفحات ١٤١ ـ ١٤٧ .
(١٧) نفس المرجع ص : ١٧٨ .
(١٨) نفس المرجع ص : ١٨٠ ـ ١٨٨ .
(١٩) نفس المرجع ص : ١٨٨ .
(٢٠) محمد كامل حسين : القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية ، مجلة مجمع اللغة ١١ ـ ١٣٧ ـ ١٤٢ .
(٢١) نفس المرجع ص : ١٣٧ .
(٢٢) نفس المرجع ص : ١٤١ ـ ١٤٢ .

اعتماد التعريب والاكثار من التاليف لخلق الاسلوب العربي الحديث.

ولقد نهج أحمد عمار (٢٤) منهجا مختلفا في مظهره العام فاعتبر ان قضية التوحيد مربوطة بوضع مناهج منظمة مصنفة تضمن للعلم بالتعريب وحدته الفكرية والثقافية التي تعتبر اهم من التوحيد الذي يمكن ان يكون مضرا أحيانا ولقد وضع خمسة عشر مبدأ نذكرها بسواهدها .

١ ـ مضاهاة الافراد اللفظي بمثله (٢٥)

Aphasia ترجمت باحتباس الكلام ، وامتناع النطق ، وتعذر النطق ، ويحسن أن نترجمها « الصمات » .

٢ ـ أفراد المصطلح الواحد بترجمة واحدة وقصرها عليه :

Therapie ترجمت بالمداواة والتطبب والمعالجة والعلاج ويحسن ترجمتها « طباب » .

٣ ـ مقابلة المترادفات بامثالها :

يعبر عن مرض السل Phtisis , Consumtion , Tuberculosis ويمكن أن نقابلها بالدرن والسل والسحاف .

٤ ـ مقابلة التعدد اللفظي :

يجب اعتبار الترجمتين العامية والعلمية ـ تترجم Blackeye بالعين السوداء وبالقضاء .

٥ ـ تجنب الاغراب وكذا الابتذال في غير ضرورة ملجئة :

Sabre Shine ترجمت ترجمة غريبة بالطنبوب الطالع ويستحسن ان نترجم بالقصبة الحسامية .

Plain musle ترجمت ترجمة مبتذلة بالعضلة السادلة ويستحسن أن نترجم بالعضلة الففل .

٦ ـ توخي وضوح الدلالة وتجنب ابهامها :

Sporadiccases ترجمت بالحالات المنتشرة وهي تعني الاصابة بالمرض على نحو فردي لا جماعي وفي اماكن متباعدة ويحسن ان نترجم « بالحالات المتفرقة » .

٧ ـ توحيد ترجمة المصطلحات المشتركة بين مختلف العلوم :

Crisi ترجمت بالبحران في علم الامراض وبالازمة في الطب الباطني .

٨ ـ مراعاة صلات الترابط الاشتقاقي والتصريفي والمعنوي بين المصطلحات :

Trophy الواردة في Trophic nerve و Trophic disturbance و Dystroph/ و Atrophy و Hypertrophy قد اثبتت مختلفة الترجمة وهي عصب الاغتذاء ، حثل ، سفل ، ضمور ، ضخم

٩ ـ الترخيص في التحلل من القديم اذا لم تتوافر صلاحيته للاستعمال الاصطلاحي الحديث :

مثال ترجمة Nulli Para ترجمت بالمنجات المبرة (لان المبرة كثيرة الولد) .

١٠ ـ التزام التخصيص في الاصطلاح العلمي بايثار الالفاظ النادرة التداول او المحورة الصيغ :

Peripheral Nerves ترجمت بالاعصاب المحيطة ويستحسن ان تترجم بالاعصاب الحتارية .

١١ ـ التوسع الى اقصى المدى في تطويع اللغة للاشتقاق ما انتفى ضرره بكيانها :

تطبيق مبدأ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

١٢ ـ زيادة تطويع الاشتقاق لصوغ المصطلحات العلمية :

تخصيص صيغة فعال للامراض المبداة Subjective Symptomes مثل صداع ودوار وزحار

تخصيص صيغة فعل للامراض البادية Objective Symptomes مثل برص مرح وحدب

١٣ ـ توخي ما تسميه المحسنات اللفظية ـ ما تسنت ـ في صوغ المصطلحات العلمية :

اعتبار التجانس من ذلك ان تترجم Typical بطبيق و Humid بوميد و Technique بتقنية .

١٤ ـ قصر التعريب على مقتضيات الضرورة وتوخي الخفة لا الثقل فيه :

تخصيص التعريب في المصطلحات الكيميائية والمخترعات الحديثة

١٥ ـ النحت :

استعماله عند الضرورة بعد صدوره ولواحقه كما وكيفا ووضع قواعد منتظمة له .

واعتبارا لما سبق من المحاولات فاننا نستطيع ان نستشف في مواقف الداعين الى التوحيد باعتبار ادراكهم لاسباب الترادف ولطرق معالجته نزعتين تعكسان تصورين لقضية التوحيد التي كثيرا ما تبدو مربوطة بثقافتكم ومؤهلاتهم العلمية ، ولذلك فان اصحاب النزعة الاولى يتميزون بما يلي :

ـ اعتبار الترادف والبلبلة في المصطلحات ناتجين عن الازدواجية اللغوية او عن تضارب ـ المصطلحات القديمة . انهم لا يعيرون اهتماما للاسباب اللغوية والاجتماعية والثقافية التي كانت اساسا لوجود تلك المترادفات مهما كان نوعها .

ـ معالجة القضية عن طريق الترجمة المحضة كانهم يرون فيها احسن طريقة لتوحيد المصطلحات العلمية .

ـ الافتتاح بان ترجماتهم من أحسن الترجمات دون اعتبار ترجمات غيرهم (٢٦) ودون النظر في فنيات الترجمة العلمية وشروطها .

ـ اعتماد الاصول العربية القديمة دون اعتبار ما فيها من نقائص الامر الذي يؤول بهم احيانا الى سلفية لغوية فيها من الخطر على المصطلحات ما يساوي او يفوق خطر مترادفاتها الحديثة .

والملاحظ ان هذا المنزع ناشيء عن كون اصحابه من احادي اللغات ومن الباحثين في القديم الذين ليس لهم صلة وثيقة بمعرفة اللغات ولا بالعلوم الحديثة ومشاكلها المتنوعة فالدعوة تكاد تنحصر عندهم في نوع من البحث الشكلي الذي لا يتعمق في القضايا تعمقا كافيا، ولذلك فانهم يكتفون بافرار القديم ولا يخوضون في قواعد المجمع مثلا في هذا الميدان وذلك على ضوء المقارنة بين القاعدة النظرية وتطبيقاتها العملية . فيبدو أن قواعد العربية الكلاسيكية عندهم صالحة ضمنيا لكل زمان ومكان .

اما اصحاب النزعة الثانية فانهم قد عزوا المشكلة لما يلي :

ـ البون الشاسع بين العلم في اللغات الاوروبية وفي اللغة العربية .

ـ الخلط بين لغة الاداب والانسانيات ولغة العلوم .

ـ دور العوامل الثقافية والنفسانية الشخصية من ذلك معنى الذوق والغرور والتجارة والاستعمار الثقافي الخ ..

ولقد رأوا من المفيد ان تعالج القضية كما يلي :

ـ الاتفاق على منهجية عامة ولو كانت اجبارية تصبح معيارا يحتذى لمواجهة البلبلة في المصطلحات العلمية .

---

(٢٤) احمد عمار : دعوة الى التزام منهجية في صوغ المصطلحات الطبية ، البحوث والمحاضرات ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ص : ٤٥ ـ ٥٦ .

(٢٥) ان جميع المبادىء المطردة من وضع احمد عمار كذلك اغلب الامثلة التي تعتبر تطبيقا لها .

(٢٦) انظر الشهابي : المصطلحات العلمية ص ١٥٣ ـ ١٥٤ والخلاف القائم بين الشهابي والكواكبي في الصيغ التي يجب استعمالها لترجمة Diaphoretique التي يعبران عنها بمعرفة ومعرفة ، كذلك Stupefiant التي ترجماها بمخدر ومخدرة .

ـ اعتماد الترجمة أو التعريب اطلاقا او تخصيص ميدان كل واحد منها بحسب العلوم .

ـ الاعراض عن النحت عامة الا عند الضرورة الملحة .

ـ ترك الكتب القديمة تماما او الاخذ منها بحذر .

ـ التوحيد لا ينشأ عن الترجمة وغيرها بل عن وجود نظريات علمية عربية تؤيد التاليف وتؤازر الانتاج وتنسق المعارف في نظام عام موحد مثلما هو الشأن في العلوم الاوروبية وغيرها .

والملاحظ عندهم ان المترادفات يمكن ان تكون احيانا ضرورية في وصف بعض الامراض مثلا . ان هذا المنزع مهم لانه زودنا بمعلومات جديدة تدل على تطور التفكير العربي تفكيرا ايجابيا في شان مسالة العلم عامة ، لان قضية توحيد المصطلحات جزء منها . وهو يفيد ايضا أن المنهجية اصبحت عند الباحثين العرب اساسا جوهريا. فلقد وصلوا الى ارساء طرق مفيدة في جميع الميادين هي على قدر ما توفر للاختصاصيين من جمع بين معرفة لغات كثيرة منها لفتهم وبين العلوم الحديثة المختصة . ان تبلور القضيه نسبيا ناشيء عن حل جزئي من الازمه التي ما زالت قائمه باعتبار مناهجهم الوصفية البحتة والجزئية اذ انها كثيرا ما تضع معايير لا يمكن ان تطبق على جميع العلوم وفي جميع الحالات . وهذا راجع الى انه لم تتوفر لدينا اكثر معطيات القضية المطروحة وان كان يصعب اطلاقا ان نصل الى الطريقة المثلى التي تساعدنا على حل مسالة المصطلحات حلا حسابيا .

فما هي المعطيات المطلوبة للوصول الى مناهج نسبية مفيدة تقلل من المترادفات وتوحد الثقافة التي نريدها عالمية فيها من التفتح على نفسها اولا ما يضمن لها التفتح على غيرها والدوام في الخلق والابتكار ؟

معطيات القضية العامة :

لا بد لنا ان نعالج القضية حسب مواقف نظرية اجماعية عامة وذلك ما يحتم علينا الا ننظر الى توحيد المصطلحات كغاية في حد ذاتها والا استحالت الدعوة الى التوحيد الى تجميد واصبحت ايديولوجية طاغية تطلق الاحكام الاعتباطية وتقوم عرقلة في وجه كل تجديد . فنظل نجتهد في المذهب دون ان نجدد في العلم ولذلك وجب علينا ان نضع القضية في محيطها العام وما له من صلة بالحالة الاجتماعية اللغوية وبنشر المعرفة على جماهيرنا الشعبية ولذلك لا بد لنا ان نعتمد ما يلي :

١ ـ الوصف والتقييم :

لقد كثرت المجامع وتعددت المؤتمرات في العالم العربي وتنازعت المؤلفات والاراء . وهو امر ايجابي يدل على يقظة ساهمت فيها المؤسسة والافراد مساهمة هامة في تطوير العلم باللغة العربية لكننا لا نعرف الى يومنا هذا ما هي وشيجة العلم بالعربية وما هي فروعه ؟ فاننا نلاحظ في غالب الاحيان انالكثير منا يكرر دون تجديد اعمالا سبق ان ساهمت بنجاح في اداء قسط وافر في نشر المعرفة الحديثة الصحيحة كما نلاحظ ان كثيرا من العلوم الاساسية لم تطرق في العربية ولم تدخل في حسابنا العلمي فضلا عنالعلوم التي ننقلها ونؤلف فيها بعد مدة طويلة تجعلها لا تصلح في العلم ولا في البيداغوجيا . اننا نجهل مثلا ما هي المؤلفات العربية التي وضعت في علم الطب او في علم الالسنية وما يتعلق بهما من معاجم مختصة (٢٧) واعتمادا على هذا لا يمكن لنا ان نطلق الحكم في قضيتنا ما دمنا لا نعلم قيمة رصيدنا العلمي . فنحن نحتاج في سبيل الوصول الى غايتنا الى وصف نقدي مفهرس يضبط مصادر العلم في العربية ومراجعه في مختلف العلوم وفي صلتها بعضها ببعض كما اننا نحتاج الى وضع ايستمولوجية عربية لتقييم المعرفة في العربية قديما وحديثا وتربط تلك المعرفة بالظروفالاجتماعية والنظريات العلمية التي كانت اساسا لها .

ان الوصف والتقييم يوحيان لنا ملاحظتين اولهما ان قضية المترادفات في العربية ناتجة حسب نسب معينة عن نزاع القديم والحديث اللذين لا يمكن لنا ان نفضل منهما الواحد على الاخر دون ان نقارن مقارنة موضوعية واحصائية رصيدينا العلميين الكاملين في القديم والحديث.لا شك ان هذا عمل جبار لكنه واجبعلى مؤسساتنا وجامعاتنا وعلمائنا اذ ان العلم على قدر ما تعد له من نظم تضبط صلاته ونفصانه حتى يكون التواصل والوضوح في فروعه ومصطلحاته . ان المواصلة على وضعنا القديم يجعلنا تشعر اننا لسنا من هؤلاء ولا من هولاء لا سيما في مستوى المصطلحات وتلك ذبذبه واهية . اما الملاحظة الثانية فانها فرع من الاولى وتفيد ان علمنا ومصطلحاتنا يعانيان تاثرا كبيرا بما يحيط بهما من ظروف وملابسات ؟ ذلك ان الفقه ـ وهو علم مختص اذا قسنا ذلك بمصطلحاته ـ قد قضى بمنطقه وقياسه على تصورنا لوظيفة اللغة وللعلوم عامة وخلط علينا مصطلحات اللغة التي ظلت متصلة به اتصالا مجحفا (٢٨) ولا شك ان الكثير من مصطلحاتنا وليد هذه النزعة التي تطغى فيها مذهبية معينة على تفكيرنا فتقف عرقلة في وجه الدقة والوضوح . ولقد تنبه الاوروبيون الى ذلك معتبرين ان الحاجة تدعو الى الاعتراف لدروين مثلا في وضع مبدا التطور في العلوم لكنهم اسرعوا الى التخلص من مبدأه عندما اصبح مذهبية مطلقة تريد ان تكون حلا لكل شيء .وخلاصة القول اننا فيحاجة ملحة الى الوصف والتقييم على غرار ما فعلنا هنا مثلا في شان المحاولات المجمعية المتعلقة بتوحيد المصطلحات حتى لا نتيه في مغبة نقد النقد الذي لن نسلم منه الا اذا وكلنا الى اختصاصيين قارينفي مؤسسات قارة مهمة تتبع سير العلم في العربية وضع مؤلفات تاريخية اجمالية تجنبنا التكرار والاهمال والاسقاط .(٢٩)

ان هذا المنهج يفرض علينا ملاحظة المعطيات الثانية وهي :

٢ ـ الاخذ والعطاء اللغويان

ان النظر في قضيتنا يفرض علينا ان نقر ان اضطراب المصطلحات وغموضها وتكاثرها ليس خاصية من خصائص العربية . فهيقضية موضوعية في كل اللغات وذلك حسب نصيب كل لغة من تراثها ومن العلم الحديث باعتبار انه توجد لغة تعطي ولغة تاخذ ،فالعربية

---

(٢٧) وضعنا معجما عربيا اعجميا يحوي اهم المصطلحات اللغوية الحديثة لعلم اللغة العام مساهمة منا في وصف وتقييم العلوم الحديثة في العربية وسيصدر هذا المعجم عما قريبالكراريس اللغوية لمعهد الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية .

(٢٨) يعود الفضل الى ابن عطاء الاندلسي صاحب « الرد على النحاة » في تخليص اللغة من المنطق الكلامي وان كان قد تعسفبدوره بان وضعها في بوتقة النظرة الظاهرية .

(٢٩) يمكن مثلا لمعهد اللسانيات في الجزائر المجهز باحدث الالات ان يبرمج اعماله فيحصي لنا جميع مصطلحات الطب في العربية قديما وحديثا فيكون بذلك مثالا يمكن ان ينسج عليه لحل قضية معركة القديم والحديث ولو نسبيا .

اليوم تأخذ ولا تعطي ، كما ان الفرنسية تأخذ الكثير من الانكليزية والروسية مثلا . فالعربية تواجه قضية صعبة لا تنحصر في طرق الاخذ فحسب بل في اختلاف اللغات التي يترجم عنها العرب اذ ان الاختلاف لا ينتهي عند لغتين من اصل مختلف بل يتجاوز ذلك الى التنافر في لغتين من اصل واحد مثل الانجليزية البريطانية والانكليزية الامريكية مما تدل عليه الامثلة التالية : (٣٠)

المصطلحات الامريكية : Tube Muffler Manifole
المصطلحات البريطانية المرادفة Valve Silencer Exhaustippe

ويهمنا من هذين المبدأين انهما سببان في الخلاف الموجود بين مصطلحات اللغة الواحدة وفي العلم الواحد كما رأينا سابقا . وتزداد اهميتهما بقدر ما نجدهما اصلا لما نسميه الحلول المرحلية في وضع المصطلحات التي كثيرا ما تكون على قدر الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تقل فيها اصحاب اللغة الاخذة . فالتعريب قد يفرض نفسه احيانا قبل الترجمة لظروف معينة كما ان الترجمة تمر بانواع منها المنحط والركيك والمتوسط والراقي (٣١) ان لهذه المرحلية اثرا في مصطلحاتنا وتضاربها من ذلك ديوان رسل العمالات ، وهذه ترجمة رفاعة للاصطلاح الفرنسي Chambre des Deputés ولهذا الاصطلاح عندنا في مصر منذ عهد محمد علي حتى اليوم تاريخ طويل . فقد سمي هذه التسمية ، ثم اطلق عليه « مجلس شورى الغوانين » ثم « الجمعية العمومية » ثم « الجمعية التشريعية » الخ .. الى ان سميناه اخيرا بمجلس النواب كما سميناه « الشمبردوبير » بمجلس الشيوخ (٣٢) ومن هذا كثير في العلوم المختلفة التي استشهد لها احمد عمار كما ذكرنا ذلك سابقا ولا فائدة في تكرارها .

وفي المسرح نجد ان مصطلح Amateur ترجمت حسب السنوات بـ : غاوي (١٨٢١) وهاوي (١٩٤٧) ومحب ومولع ومغرم (١٩٦٥) (٣٣) ومصطلح Drame ترجمت بقصيدة (١٨٢١) وتمثيل (١٩٣٠) وماساة (١٩٤٥) ودراما (١٩٤٨) وفاجعة (١٩٥٦ م) ومسرحية وماساة عصرية (١٩٥٩) ودرام (١٩٦٥) (٣٤) .

ان هذه النظرية التاريخية تبين ان اللغة العربية آخذة ، لكن اخذها المرحلي لم يستقر ولم يثبت ولا يمكن ان يكون ذلك ما لم توضع فيه دراسات تصفه قبل ان تأخذ قرارات موحدة في شأنه. ومعنى هذا ان التوحيد لن يكون ناجحا اذا كان غاية في حد ذاته ، اي اذا لم يأخذ بعين الاعتبار هذا التراث المرحلي لان من الاخطاء الكبرى ان نتجاهل هذا التراث الحديث ونضرب به عرض الحائط فنظل نجتهد في المذهب بوضع مصطلحات اخرى دون ان يكون ذلك تجديدا في العلم ومصطلحاته .

وفي هذا الصدد ليس لنا ان نغفل عن تأخر اخذنا وقلته، اذ لا بد ان نتساءل عن فائدة توحيد الالاف من المصطلحات المأخوذة اذا قارناها بالالاف المؤلفة من المصطلحات العلمية الحديثة في اللغات المتقدمة . ان مجمع اللغة العربية قد وضع منذ نشأته ما يقرب من ٥٠ الف مصطلح وهو ما يعادل وضع خمس كلمات في اليوم الواحد لمدة ثلاثين سنة (٣٥) .

لا شك انه يوجد منا من يدعو الى التعريب المحض باعتبار ان اخذنا قليل ومتأخر ، وان الترجمة عائقة مهما كان اجتهادنا ، فليكن الاخذ معربا لان العلم كوني في مصطلحاته ومفاهيمه فيحسن ان نستوعب العلم عوض ان نتيه في ترجمته . فلا يكفي ان نعالج الموقف بلعن المنادين بهذا المبدأ وذلك باسم مذهبية التوحيد ولو كانت شكلية ، لان حجتهم في سبيل العلم تساوي حجة من يدعو الى التوحيد بالترجمة دون حصول المعرفة العلمية . ولعل احسن طريقة في هذا الشأن تتمثل في وجود قوانين تنمي الاخذ كما وتجود معطاه كيفا معتبرة مبدأ هاما مفاده ان توحيد المصطلحات لا يكون الا بتنمية الاخذ وبتكامله وبمقارنة طرق اخذه ، وهذا ما يدعونا الى المعطاة الثالثة المربوطة بتنمية الاخذ .

٣ ـ معنى التقدم العلمي :

ان اضطراب مصطلحاتنا يعكس في الحقيقة موقفنا من تحديد معنى التقدم العلمي . اننا نلاحظ مثلا ان المعرفة بصفة عامة والمصطلحات بصفة خاصة لا تزال محل نزاع بين اصحاب القديم واصحاب الحديث واصحاب الحل الوسط . من ذلك ترجمة كلمة Biscuit التي وضعت لها ثلاث كلمات وهي : الخشكناك والبسكويت والملة . اما Pancreas فلقد وضعت لها ثلاث كلمات ايضا وهي : الحلوة والبنقرياس والعقدة . ان هذا الخلاف ليس ناشئا عن الترادف بقدر ما هو ناتج عن نزعات علمية متنازعة : النزعة الموسوعية التي تنظر الى الحديث من خلال القديم ، والنزعة الوطنية الاقليمية التي ترضى بالغموض على حساب القديم والحديث. فالنزعة الانشائية تكاد تكون معدومة ، فنحن لا ننظر للعلم الا من خلال ما عرف خوفا من هاوية الفراغ . فلن توجد النزعة الانشائية الا اذا عبرت المصطلحات العربية عن مفهوم التقدم العلمي وتعلقت بحدوده، ومن طبيعة ذلك التقدم الا يخضع لمنطق عقلي يفرض تواصل المعرفة وترابط تقاليدها لان العلم يتقدم بطريقة غير متصلة كثيرا ما تتميز بنقض المعارف السابقة (٣٦) فالتقدم العلمي لا يكون الا بالثورة على العلم القديم في مفاهيمه ومصطلحاته المترابطة بعضها ببعض .

ان النقد التاريخي يبين ان المعرفة لم تتقدم في اوروبا الا عندما حل اهل التقنيات محل اهل الدين والموسوعيين وقامت الطباعة مقام الخطاطة . ان مصطلحاتنا ستكون رائدة متناسقة ، ولا اقول موحدة ، ان عبرت عن مفهوم العلم الذي يعني ترك القديم في جله على جلالة قدره ، فنتجنب التيه في المعارك الثانوية والثلاثية والرباعية المتمثلة في المترادفين او الثلاثة او الاربعة بالنسبة للمصطلح الاعجمي الواحد وذلك ما يقودنا الى المعطاة الرابعة وهي :

٤ ـ البحث العلمي :

ان وحدة الثقافة ووحدة المصطلحات رهينة مساهمة ابناء الامة الواحدة في البحث العلمي وتقدمه . والملاحظ ان وسائل العلم مخذولة في بلادنا واهل العلم مغبونون بها حتى كادت تطلق عليهم لعنة

---

(٣٠) حسن حسين فهمي : المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ـ القاهرة ١٩٥٨ ص : ٣٧ .

(٣١) جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ـ القاهرة ١٩٥١ ص ٢٠٣ ـ ٢٢٨ .

(٣٢) نفس المرجع ص : ٢١٤ .

(٣٣) عطيه ابو النجا : بحث في مصطلحات المسرح وترجمتها في العربية الحديثة ـ الجزائر ـ ١٩٧٣ ص : ٥٦
Recherche sur les termes de Theatre el ,leur traduction en Arabe moderne)

(٣٤) نفس المرجع ص : ١١٨ .

(٣٥) رشاد الحمزاوي : مجلة Arabica الجزء ١٥ (فيفري ١٩٦٨) ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٣٦) انظر Pierre LASZLO : Conflits en Revolutions , Critique . Bruxelles 1974 .

ميتافيزيقية عنصرية مفادها ان عقولهم لم تخلق لتخلق فما هي وسائلهم من العلم ؟ ان مجموع الاقطار العربية تهتم قليلا بالبحث العلمي وتخصص اقل من واحد في المائة من مداخيلها له (٣٧) والحال انه يعتبر الركن الاساسي لمصطلحاتها ولمناعتها السياسية والاجتماعية والثقافية .

ان هذا البحث لن يثمر ولن يزدهر ما لم يعتمد مبداي التنظيم والتصنيف اللذين يقودان الى وضع النظريات الانشائية المتناسقة والى انشاء المدارس العلمية المتنافسة والمتسابقة من اجل تنمية المعرفة التي ينبثق عنها القطب المولد الذي تتولد عنه المخترعات وتكثر حتى يصبح انتاجه العلمي يساوي او يكاد تصوراته النظرية . ويتجسم ذلك في تقارب تواريخ المخترعات كما تدل على ذلك الامثلة التالية :« وقد اقتضى العقل ١١٢ عاما ما بين سنة (١٧٢٧ ـ ١٨٣٩) للتوصل للتصوير الفوتوغرافي ،٥٦ عاما ما بين سنة (١٨٢٠ ـ ١٨٧٦) للتوصل للتلفون ، وخمسة وثلاثين عاما ما بين سنة (١٨٦٧ ـ ١٩٠٢) للتوصل للراديو ، وخمسة عشر عاما بين (١٩٢٥ ـ ١٩٤٠) للتوصل للرادار واثني عشر عاما ما بين سنة (١٩٣٩ ـ ١٩٥١) للتوصل للقنبلة الذرية وخمسة اعوام ما بين سنة (١٩٤٨ ـ ١٩٥٣) للتوصل للترانزستور وعامين لا غير ما بين سنة (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) للتوصل للنقل الكهربائي اللاسلكي الملتحم » (٣٨) .

ولا شك ان العقيدة العلمية وحرية الفكر في جميع ابعادها وفي جميع الميادين ونشر المعرفة الصحيحة بين جميع افراد الامة تجعل من العلم مقسوما مشتركا نساهم في تنميته مساهمة جماعية حتى يصبح تجربة من تجاربنا عملا بالقول المشهور :« اذا اعطيت المرء سمكة تغذى بها مرة واحدة واذا علمته الصيد تغذى كل حياته »(٣٩) وفي انتظار بروز العقلية العلمية لا بد ان نطرق المطاة الخامسة .

٥ ـ الترجمة :

يجب ان نقر ان علمنا علم ترجمة وهي صنعة نبيلة يكون توحيد مصطلحاتنا على قدر تصورنا لها ولشروطها . ان الترجمة تقنية من التقنيات الحديثة (٤٠) وليست ضربا من ضروب الادب اذ انها تطورت حتى عوضت الترجمة الاوتوماتيكية (٤١) المترجمين . اما نحن فما زلنا ننظر لترجماتنا من خلال ترجمة مثالية نتصورها توهما ولا ندركها عملا . اذ ان معظم ترجماتنا سليقية حدسية تؤول فيها الترجمة الى رجم لاننا نجد لها معايير علمية قارة تفصل بين مترجمين خصمين كثيرا ما ينقلبان في خصامهما الى سفسطائيين او الى موسوعيين هما اقرب الى اصمين منهما الى متحاورين في العلم . فالترجمة تفرض ان تضع لها في العربية نظما تضبط جل قواعدها (٤٢) اذ لا توجد ترجمة مثالية بل توجد ترجمة ضرورية لا بد منها بحثا عن الدقة والوضوح، فمن الترجمة ما يكون التعريب قطعا ، ومنها ما يكون النسخ ويسميه بعضهم المسخ لتادية صور واشكال ذهنية خلقتها عبقرية اللغة المترجم عنها لاسباب اجتماعية وثقافية خاصة بها دون غيرها ، ومنها ما يكون ترجمة حرفية وبها تلحق الترجمة الجانبية او التقريبية ، ومنها ما يكون قياسا او مكافاة او مؤلفة فلا يكفي ان نقر مسبقا ان التعريب لا يستعمل الا عند الضرورة .

فما هي تلك الضرورة وما هي حدودها ما لم نصفها انطلاقا من الاستعمال والمقارنة والتجربة ؟

ان هذه المعطيات المذكورة على سبيل الاختصاص تبدو بديهية ، ذلك صحيح ، لكنها تحتاج الى بيداغوجية تؤديها وتطبقها . ولا يمكن ان نفير تجاربنا ما لم نربط هذه المعطيات بتجربتنا في ميدانين هامين يتعلقان باختياراتنا وطرائقنا اللغوية التي سرنا عليها الى يومنا هذا في المجامع والجامعات وفي مستوى الافراد .

الاختيارات اللغوية الاساسية :

ان النزعة الى توحيد المصطلحات وبالاحرى الى توحيد الثقافة كثيرا ما تلجأ الى وضع اسس احكام مسبقة نعتبرها مقدمات بديهية يظن اصحابها انها كافية لتكون منهجا مفيدا . ومن تلك المقدمات .

أ ـ التمذهب اللغوي الذي يربط اللغة بالعقل والمنطق ويميز مثلا بين لغة الانسانيات ولغة العلوم . فيكفي ان ننظم لغتنا كي تنظم عقولنا وتتحد مصطلحاتنا . وهذا ما يقودنا الى ان نفترض مثلا ان لغة الادب تتميز بالمشترك ولغة العلوم بالافراد . ذلك ما يستلزم اقامة الحجة عليه لان اقرار هذا المبدأ يستوجب استقراء مظاهر اللغتين واحصاء مصطلحاتهما الفنية حتى نجزم بهذا الراي الذي لم يوجد له تطبيق الى الان في العربية .

ان هذا المنزع كثيرا ما يقود الى البلبلة والى تاييد مبدأ اقرار المترادفات في الاداب والانسانيات مثلا . لكنه يتجاهل ان لكل لغة من اللغتين مظهرا عاما ومظهرا خاصا فيه من الابتذال والغرابة والدقة والوضوح نسب تكاد تكون متساوية فضلا عن ان تكاثر الالفاظ في المصطلحات الفنية الادبية العربية يعود جوهريا الى شيخوخة الادب العربي الذي لم تتجدد نظرياته ولم تتطور او الى الترجمة وما وراءها من فوضى ، فيكفي ان تلقي نظرة على مصطلحات المدرسة الادبية الشكلية لندرك ما اتت به من مفاهيم جديدة مضبوطة .

ولنا ان نلحق بهذا التمذهب ما مفاده ان لغة العلم تحتاج الى غرابة لطيفة ـ ولعلها من نوع اللغة الماورائية metalangue تميزها عن الكلمات العامة عملا بمبدأ الاوروبيين الذين لجأوا الى اللاتينية واليونانية لاستسقاء كلماتهم العلمية منها . لكن يجب ان ندرك ان ذلك الغريب اصل في اللغات الاوروبية وان علوم الطب الحديثة مثلا قد اخذت تتخلص شيئا فشيئا من اليونانية واللاتينية اللتين حذفتا من برامج الطب في اكثر الاقطار الاوروبية . ان لغة العلوم بما في ذلك الاداب والانسانيات تستدعي نوعا من الاختصاص

---

(٣٧) حسن صعب : تحديث العقل العربي ـ بيروت ١٩٦٩ ص : ١٦٥ ـ ٢٠١ .

(٣٨) نفس المرجع : ١٦٨ .

(٣٩) نفس المرجع : ص ١٧٠ .

(٤٠) J . A . Vinay et J . Darbelnet : Stylistique comparee du Francais et de l' Anglais - Paris 1958

(٤١) Anthony G . Oettinger ; Automatic Language translation lexical and technical aspect , With Particular reference to Russian , Cambridge Massachusetts , 1960 .

(٤٢) نفس المرجع الوارد في حاشية (٤٠) ص ٤٦ ـ ٥٤ .

لا على اساس الغرابة بل باعتبار انعدام وجود العلاقة المنطقية بين الكلمات ومعانيها ، فالاسم لا ينطبق على المسمى ، والاسماء لا تعبر عن الاشياء بقدر ما تعبر عن اصطلاح نصطلح عليه. فالتصاق الكلمات بالاسماء ناشيء عن التكرار والعوائد لها عن صلة وثيقة بين الاسم والمسمى . فلو كان كل ما يدعي بصالح صالحا لساد الصلاح الدنيا . ولذلك قال بعضهم ان كلمة كلب لا تعض .

فلو اخذنا بهذا الراي الجديد لاستطعنا ان نثري معجمنا بالمصطلح المتجدد ، عوضا ان نحمل اللفظ الواحد عبئين :عبء المعنى الحديث وعبء المعنى الجديد . وهذا ما يجعلنا نعتقد ان للمترادفات في هذه الحالة سببا . فهي ليست عبئا في حد ذاتها . فلا يكفي ان نخلص اللغة من مترادفاتها واضدادها حتى نامن الاضطراب . فالمهم في هذه الحالة ان ندرس الاسباب الموضوعية (٤٣) التي خلقتها حتى تساعدنا على تجنبها حسب الامكان اذا لم نكن تصورا مهما عن تطور استعمالاتها وادواتها .

ب ـ الاستعمال او العدالة اللغوية :

ان اهم مبدأ يمكن الاعتماد عليه في هذا الصدد يتصل اتصالا وثيقا بموقفنا من الاستعمال في مظهره العام . اننا نلاحظ اننا غير متفقين على وجوه الاستعمال في العربية الفصحى مثلا . اننا نقر ضمنيا بوجود استعمال مثالي ازلي كثيرا ما يكون اسطوريا نريد ان نقيس عليه دون ان نعرف حدوده ومناهجه . اما في الواقع فان لنا استعمالات في الاختصاص الواحد يستوجب وضع نظام عام نسير عليه . ومن اهم قواعد ذلك النظام ان نقر ان الاستعمال المطرد اساس القاعدة .

ولا يمكن الفوز بذلك الاستعمال الا بالاعتماد على الوصف الذي يقر الاستعمال الغالب في زمان معين ومكان معين . ولا بد ان يكون الوصف متواصلا حتى نجد الاستعمال والقواعد ونخلصهما من جمود القياس المنطقي . فلا يكفي ان تبدد العمر في تاليف الكتب في عثرات اللسان عند العامة وعند الخاصة كما فعل الشيخ عبدالقادر المغربي دون ان يكون لها نفع لاننا لم نبحث عن السبب الذي جعلنا نقول الجراة لا الجرأة ،والنسر لا النسر،والخطة لا الخطة ،فهل اللغة لقلة مستعمليها او لغلبتهم ؟ من يمثل الصواب ومن يمثل الذوق؟ هل لنا حق فيهما وفي تطويرهما ؟

ان المعجمية الاجتماعية (lexicologie) تقر ان كل استعمال مطرد يشهد على ضرورة ، وكل ضرورة تعبر عن حاجات فئة او طبقة من المجتمع ، فالكلمات والمصطلحات شاهدات على مجتمعنا تستوجب من المعجمي ان يقرها لتكون مصطلحات في ميادينها . ولذلك فان المعجم المثالي هو المعجم الذي يقر عددا من اللغات من اكاديمية وعلمية وادبية وعادية وشعبية وحتى بذيئة وما لها من صلة بعلم النفس والاجتماع وهذا يعني انه توجد في اللغة الواحدة مستويات لغوية لها وظيفتها الفنية والاجتماعية . لا شك انه يستحيل عقلا وتطبيقا ان نضع للحداديين لغتهم لاننا لسنا موكلين على حرفهم وخصائصها . ويؤسفنا ان نظل مستبدين بتلك اللغة من دون خبرة فيها ودون معرفة لمشاكلها .

ان القضاء على احد هذه المستويات يعني اننا نحكم بالاعدام على حق اصحابها في التعبير عن حاجاتهم ومشاكلهم . فيكون ذلك النوع من الظلم اللغوي مثل الظلم الاجتماعي ولعلهما ناتجان عن بعضهما بعضا . ولذلك فاننا نعتبر ان ازمة مصطلحاتنا ناشئة عن ضيق حدود استعمالنا وان هذا التضييق سبب من اسباب الفوضى والاضطراب والفوضى في معاجمنا المصرية .

ان تطوير مفهوم الاستعمال مربوط بتصورنا لمعنى الفصاحة . لكن ما هي الفصاحة عند اللغويين ؟ ان تعريفاتهم النظرية والتطبيقية لها تفيد انهم اتفقوا على ان لا يتفقوا عليها ان اعتبرنا اختلافاتهم الواردة في مزهر السيوطي (٤٤) اما المعجميون فلقد اختلفوا فيها اختلافا تاريخيا تدل عليه عناوين معاجمهم ومحتوياتها . فهم لم يسلموا من الوقوع في نفس الخطأ الذي يقر وجود فصاحة مثالية لا يدرك احد معناها ومميزاتها ، كما انهم ربطوها ايضا بمعنى البداوة والسذاجة ، ولا تزال هذه النظرة مسيطرة علينا ، اذ اننا لا نجد نصوصا من الجاحظ او العلميين العرب او من الكتاب والصحافيين المشاهير المعاصرين في معاجمنا قديما وحديثا . ان تناقضنا واضح بين ما ندعو اليه من وضع مصطلحات تنتسب الى الحداثة وبين ما نقره من مصطلحات متصلة بالبداوة باكثر من سبب . ويبدو ذلك واضحا بقدر ما نستغرب لو لاحظنا ان المعجم الفرنسي يعتمد في جمع مادته على فلاحي مناطق البروفانس او الالب وفصاحتهم . ان الخروج من هذا المازق يستدعي ان نقر ان الفصاحة فصاحات : من ذلك فصاحة القصيدة ، وفصاحة القرآن، وفصاحة كبار الكتاب والعلماء القروسطيين ، وفصاحة الصحافة، عوضا ان نقضي العمر في التاليف في كتب لحن العامة ولحن الخاصة وقل ولا تقل . ان حالة العربية تدعونا ان نعتبر تلك اللاحن تطورات في اللغة وفي فصاحتها . وهي تشمل المستوى الصرفي والنحوي والبلاغي والمعجمي . فان كان ذلك التطور مطردا ودل عليه الوصف اللغوي وايده الاحصاء في اغلب الاقطار العربية وجب علينا ان نقر اسس فصاحة جديدة تاخذ بعين الاعتبار ما طرأ على الفصاحة السابقة من تطور وتغيير ولو كان عن القياس الخاطيء . وفي العربية الكلاسيكية من وجوهه ما يدل على انها قد استعملته باطراد . ان هذا التصور للفصاحة يربطها ربطا وثيقا بالاستعمال فتكون الفصاحة الحية هي الاستعمال ذاته . فلو توفرت كل المعطيات السابقة لوجدنا فيها ما يعيننا على استدراك امر طرائفنا اللغوية التي استقرت وبلغت من الاشباع ما لا يمكن تجاوزه من دون ان يكون ذلك لحساب الدقة والوضوح . فيجنح الى طريقة التركيم التي تحشو اللفظ الواحد معاني كثيرة . ولعل ذلك سبب من اسباب وجوه المترادفات والاضداد وان كانت ترجع احيانا الى احوال تطور اللغة وبيئاتها المختلفة .

الطرق اللغوية :

ان هذه الطرق معروفة وهي تنحصر في المجاز ، وكثيرا ما يعني احياء القديم ، وفي الاشتقاق والتعريب والنحت واحيانا اللغة العامية. ولقد قيدت هذه الطرق بقيود القياس الشكلي . ولقد بينا في هذا الصدد ان اغلب قرارات مجمع اللغة مقيدة مكبلة لاعتمادها القياس المجحف الذي يسترجع باليسرى ما جادت به اليمنى . لقد خصصنا دراسة شاملة لهذه الطرق من خلال تجربة مجمع اللغة العربية (٤٥) لمدة ثلاثين سنة (١٩٣٤ ـ ١٩٦٤) فوجدناها تحتاج الى تحسين عميق ان لم تكن تحتاج الى اعادة نظر .

---

(٤٣) التضاد في اللغة العربية .

(٤٤) السيوطي : المزهر ، القاهرة (بدون تاريخ) (ج ١ ـ ٢١١)

(٤٥) محمد رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية : تاريخه اعماله ـ تونس ١٩٧٢ م (تحت الطبع) .

ان طريقة المجاز لا تفيد نفعا ان كانت ترمي الى احياء القديم من اللغة ، وذلك أن علوم القدماء على شرفها لا تعبر في جلها عن علوم عصرنا . فهي تمثل مرحلة مفيدة من علوم الانسان العربي ومعرفته لكنها ليست العلم في ماضيه وحاضره ومستقبله . انطابق المعارف يدل على اشتراك ذهني فيه من اعراض الالتباس الفكري ما لا يبشر بخير . لقد بين مصطفى الشهابي بدقة الفرق الشاسع بين محتوى معاجمنا القديمة ومحتوى العلم الحديث (٤٦) ولقد اهتممنا بالقضية ايضا فدرسنا مساهمة مخصص ابن سيده في تطوير العربية (٤٧) لقد لاحظنا في هذا الصدد نوعا من الديماغوجية العلمية التي تتغنى بالقديم للتغني أو للتغنن دون ان تدرك كنهه ودون ان تستعمله . ان دراستنا التي ركزناها على استعمال مصطلحات ابن سيده في معجم النبات ـ لاحمد عيسى ومعجم الحيوان لامين المعلوف ومعجم الالفاظ الزراعية لمصطفى الشهابي بينت ان الاول استعمل من المخصص (٩) مصطلحات من (٥٨٨٥٢) مصطلحا واستعمل الثاني (٣٥) مصطلحا من (١٤٢٨) مصطلحا واستعمل الثالث (١٩) مصطلحا من (٩٩٩٦) مصطلحا ، ولا حاجة بنا الى التنبيه الى عديد خلافاتهم فيهذا الصدد ، اذ اننا قد شرحناه في محله الذي يمكن الرجوع اليه .

ان هذه الدراسة تبين ان الاعتماد على المعاجم القديمة لا يفيد في العلوم . فلا يمكن لنا ان نستغلها استغلالا محدودا الا اذا اعتمدنا منهجين متلازمين . ينحصر اولهما في استقرائها استقراء عميقا يجنبنا الحكم لها او عليها بالتخمين وبالنية الحسنة او السيئة . فيمكن اذاك ان نضمن ترتيبها وتصنيفها حسب مناهج علمية تربطها باصول العلم الحديث . اما المنهج الثاني فانه يحتم الاتفاق على ميادين استعمالها الدقيق حتى لا يبقى عرضة للتاويل الذي يؤول بنا غالبا الى الاضطراب والفوضى .

اما الاشتقاق الذي يتمثل في الاشتقاق الصغير فانه يكون الطريقة المثلى لوضع المصطلحات الحديثة ان اتفقنا على نظام يقيد صيغه ويخصصها . ان الصيغ الدالة على الالة والاداة متداخلة متناقضة والصيغ الدالة على الامراض المبداة والامراض البادية لا تتميز عن بعضها بعضا .من ذلك اننا نستعمل صيغتي فعل وفعال لنفس المرض (٤٨) .

دمل دمال	:	Furonculose
شحم وشحام	:	Graisse
فيل وفيال	:	Eliphiantes
ادم وادام	:	Dermatite

ويمكن لنا ان نجد امثلة كثيرة من هذا النوع في جميع مصادر المجرد والمزيد ، من ذلك ان مصطفى الشهابي والكواكبي ، وهما من سوريا ، يختلفان في الصيغ التي يجب استعمالها ـ واليك امثلة (٤٩) :

معرق ومعرقه	:	Diaphoretique
مخدر ومخدرة	:	Stupefiant
مقيء ومقياة	:	Emetique

ان سبل التوحيد تكاد تكون مستحيلة ما لم تثبت اختصاصات الصيغ. وتزداد القضية تعقدا عندما نلاحظ اعراض المجامع والباحثين عن بعض الصيغ مثل : مفعل التي يمكن ان تعتمد للتعبير عن مصطلحات علم الحساب مثل :

مسدس	:	Hexagone
مسبع	:	Heptagone

كذلك صيغة فعول التي يمكن ان تستغل استغلالا كبيرا في الكيمياء :

خلول	:	Dialysable
خثور	:	Coagulable
لهوب	:	Inflammable

وما دمنا في ميدان التخصص فانه يحسن بنا ان نعتني بالاشتقاق الكبير الذي كثيرا ما استعمل للتسلي والتفنن ، اذ يمكن ان يدرس دراسة علمية بغية استعماله في مستوى او ما يعبر عنه بالغريب العلمي عند بعضهم . ان لغة الخنفشار تعتبر رد فعل عنيف على قياس النحويين ودعوة الى اعتبار الارتجال طريقة من طرق الوضع . ويمكن لهذا الرأي ان يطبق على الاشتقاق الاكبر باعتباره طريقة من طرق التنمية اللغوية التي تساعد على تخصيص المصطلحات بقدر ما تقلل من طغيان التراكم الذي يعتبر سببا من اسباب الاشتراك في الصيغ والمعاني .

في التعريب نواجه نفس الاضطراب . فنلاحظ اننا لم نوفق الى يومنا هذا الى وضع خطة موحدة لتعريب الاصوات الاعجمية(٥٠) فلقد وضعنا بعض القواعد المعقدة لنقل الاصوات الحديثة باعتماد طرق السلف دون ان ناخذ بعين الاعتبار تطور عوائدنا الصوتية لا بالنسبة للعرب فحسب بل بالنسبة للذين نقلنا عنهم قديما والذين ننقل عنهم حديثا . ولقد اشتد الخلاف في العلوم التي تستوجب الترجمة والعلوم التي تستوجب التعريب .

ولا شك ان الحل ينحصر في دراسة مقارنة تقوم حكما فصلا من طرقنا القديمة وطرقنا الحديثة وتنير لنا السبيل في هذا الميدان . فيمكن لنا ان نستخرج منها قاعدة عامة تسبية زمنيا تقر الميادين التي يجلب فيها التعريب اطلاقا مثلما هو الشان في علوم الكيمياء .

اما النحت فيكفي ان اشير اني قمت بدراسة مقارنة (٥١) للمنحوتات الواردة في معجمي الكيمياء والفيزياء اللذين جمعهما المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط . فلاحظت مما لاحظت

---

(٤٦) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية ص : ٣٣ ـ ٤٠ .

(٤٧) محمد رشاد الحمزاوي : مكانة مخصص ابن سيده من المعجمية العربية المعاصرة او مساهمة التراث العلمي العربي في تطوير العربية ، حوليات الجامعة التونسية ج ٩ / ٧ ـ ٢١ .

(٤٨) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية ص : ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٤٩) نفس المرجع ص : ١٠٧ .

(٥٠) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية ص : ١٦٦ .

(٥١) محمد رشاد الحمزاوي : السوابق واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها الى العربية الحديثة ،سيصدر بحوليات الجامعة التونسية واللسان العربي التابع لمكتب التنسيق والتعريب بالرباط .

ان « لا » العربية تستعمل لتأدية السوابق التالية :

لا ـ A	اتحاد لا لوني	Combniaison
لا ـ An	لا توافقي	Anharmonique
لا ـ Assy	تحليق لا تماثلي	Synthese assymetique
لا ـ In	لا عضوي	Inorganique
لا ـ Non	لا فلز	non metal

وان ذوو وذات العربيتين تعبران عن uni , Penta - mono -iso - bi

مرحل ذو معدنين ـ ذو فلزين	Relai bimetal
ذو لون واحد	isochromatique
ذات الوتر الواحد	monochororde
ذو الخمس	corps pentavalent

اما السابقة Anti فلقد ترجمت ولم تعرب لكن صيغتها مضطربة ، فهي تترجم احيانا بالمضاد والضديد في ضديد النيتوترينو (Anti neutrino) ومضاد الكلور (Anti chlore) فلقد تبدلت الصيغة من الكيمياء الى الفيزياء فما هو معيار هذا الاختلاف ؟ لا نعلم عن ذلك شيئا سوى الاضطراب القائم امامنا .

ويعود هذا الاضطراب الى اننا لم ننتبه الى وضع القضية على اسس منهجية قويمة وذلك حسب ما يلي : ـ

ا ـ وضع قائمة في جميع السوابق واللواحق اللاتينية المستعملة في اللغات الاوروبية الحديثة التي ننقل عنها اليوم .

ب ـ استقراء جميع الطرق العربية القديمة والحديثة التي استعملت لنقل البعض منها .

ج ـ استنتاج قاعدة عامة توحد بين متناقضها وتستكمل ناقصها تمهيدا الى نظام محكم يشملها جميعا .

ويمكن لنا ان نتتبع نفس المنهج فيما يتعلق بمدى استعمال العامية في بعض العلوم لا سيما ما يعبر منها عن الالبسة والاطعمة والثياب والعوائد التي تختلف من قطر عربي الى اخر . فضلا عما يمكن استعماله من العامي المشترك بين الاقطار العربية مثل اداة النفي واللاحقة الدالة على الحرفة كقهواجي ، وموسيقار الخ ..

وخلاصة القول ان قضية التوحيد تحتاج الى برنامج يكون موضوع مخطط لتنمية اللغة مثله مثل المخططات الاقتصادية والاجتماعية التي تعتبر اللغة جزءا منها . ويمكن ان يكون ذلك على النمط التالي :

ـ رصد ما يزيد على واحد في المائة من مدخول كل قطر عربي الى البحث العلمي والى مكافاة الباحثين مكافاة مفيدة حتى يتفرغوا لذلك البحث .

ـ ربط قضايا اللغة بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والادارية في الاقطار العربية .

ـ تكوين هيئة علمية عربية عامة تنسق برنامج البحوث وذلك حسب سنوات معينة . ولا بأس ان يشترك في تلك الهيئة الاختصاصيون في علم الاقتصاد والاجتماع والنفس وخبراء انمائيون .

ـ وضع مراجع نقدية مفهرسة تعرف بالانتاج العربي حسب الاختصاصات المختلفة .

ـ تكليف لجان مختصة لوصف التراث القديم والحديث وتقييمهما علميا .

ـ تخصيص كل قطر عربي بعلم من العلوم وقضاياه لتطبيق هذا البرنامج حسب اعوام معينة .

ـ عقد مؤتمرات متوالية في البلدان المسؤولة عن اختصاصها لتقييم الاعمال المنجزة واتخاذ القرارات الجماعية .

فوحدة الثقافة تفترض وحدة المنهج وتوزيع الاعمال والمسؤوليات وتنظيمية القواعد Systemah sation والا آل التوحيد الى تمذهب شكلي لا هدف له الا الاستبداد الفردي بعلمنا المشترك وذلك لغايات فيها من الخطر على وحدة الثقافة ما يفوق اختلافاتنا الموضوعية الحالية .

دار الآداب تقدم

عن علاقات الدائرة

رواية بقلم

الياس خوري

٣٥٠ ق . ل .

صدرت حديثا